حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد 33، ديسمبر 2023

إلى أي مدى يمكن أن نفكر اليوم في الفراغ ؟

يا أساتذةَ العالمِ اتحدوا

رواية "ظلالي التي تعرج" لكلثوم عياشية:
هدرة تخلع أبواب الذكرى وتهتك سحر الفكرة

قراءة في كتاب "دولة اليهود" لتيودور هرتزل

عن الإبادة الجماعية في فلسطين وصراع السرديات

نقرؤك في هذا العدد:

إلى أي مدى يمكن أن نفكر اليوم في الفراغ ؟ ص. 3

مريم مقعدي

قراءة في كتاب "دولة اليهود" لتيودور هرتزل ص. 4-5

فهمي رمضاني

عن الإبادة الجماعية في فلسطين وصراع السرديات ص. 6-9

أحمد بلال القطّي

يـا أساتذةَ العـالمِ اتـحـدوا... مقال لفيليب ميريو (الجزء الأوّل) ص. 10-13

ترجمة: خالد جبّور

رواية "ظلالي التي تعرج" لكلثوم عياشية: ص. 14-15

هدرة تخلع أبواب الذكرى وتهتك سحر الفكرة

رجاء عمّار

حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن
جمعية تونس الفتاة

تأسّست في مارس 2021

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

فهمي رمضاني
مريم مقعدي

التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

Unicef

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

إلى أي مدى يمكن أن نفكر اليوم في الفراغ ؟

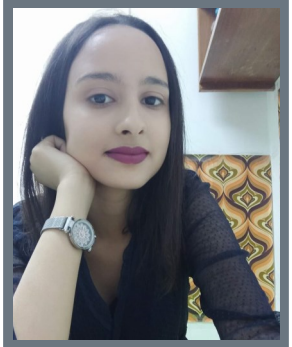

بقلم: **مريم مقعدي**
مجازة في الفلسفة
الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة
mogadimariem@gmail.com

لما كنا نعيش في عالم يخترقه الفراغ من كل جانب، إذ ليس هذا الأخير سوى فقر هذا العالم الحالي من كل مشاعر الفرح وكل المشاعر الخلاقة القادرة على خلق كينونتنا في هذا العالم مثلما عبّر عن ذلك انطونيو نغري نفسه في كتابه الذي خطه في السجن **" الفن والجموع"**، فان نغري يقترح علينا أن نعيد النظر بشكل آخر للعالم، بحيث نضمن للإنسانية الحالية سردية أخرى تدفع بنا إلى المستقبل وليس إلى الماضي.

و لكن هل بوسعنا اليوم أن نفكر حقا في سردية جديدة في عالم بات يشهد "نهاية السرديات الكبرى" مثلما وقّع ذلك فيلسوف ما بعد الحداثة جون فرنسوا ليوتار ؟

يبدو أن هذا الرهان يخفي في ظاهره عدة تحديات، في عالم بات فيه كل شيء ينذرنا "باللاعالم" في كل مكان... في عالم سقط في الخرائط وارتطم بخريطة سلبية، أين وجدنا أنفسنا في نوع من العطالة أمام كل الحقائق التقليدية. ماذا علينا أن نفعل إذن؟ أو مثلما سال نغري " **كيف عبور هذه الصحراء ؟ كيف لنا أن نتخيل من جديد انفتاح العالم الحالي على الفرح؟".**

يبدو أنه **" لا بديل لنا عن هذا العالم ولكننا نملك بديلا في صلب العالم نفسه"**، لذلك كان الفن بمثابة هدية الفلسفة اليوم ضد كل القوى الارتكاسية والظلامية التي حولت هذه الحياة إلى مسرح من

أنطونيو نغري، ويكيبيديا

الآلام والفظاعات. وبهذا المعنى يخرج الفن من بعده الاستطيقي، إلى بعد آخر انطولوجي، يكون فيه قادرا على اختراق الفراغ وبالتالي صنع كينونتنا في العالم.

إن الفن نفسه في عصر ما بعد الحداثة، انخرط في مسار سياسي اكتسب فيه بعدا ثوريا تحرريا. لذلك يشدد نغري على دور الفن في خلق الجموع الحرة، باعتبارها جموعا خارجة عن كل أشكال الضبط والقيس والتحديد. فوحدها الجموع الحرة المقاومة لكل أشكال الرأسمالية التي شيئت الإنسان تعزينا إذن، وتعطينا إمكانية جديدة للخلق ولاختراق كل أشكال الفراغ. ولعل ما يزيد الأمر طرافة هو أن نغري قد حرر الفن ذاته من

من تلك الذات المتعالية "الطاهرة" التي خلقته، ورمى به إلى الجموع مؤكدا على أن الفن ليس ملكا لذات واحدة ابتكرته هي ذات الفنان أو الرسام أو النحات، وإنما هو ملك للجموع الحرة.

إن الفن بهذا المعنى ليكتسب بعدا ثوريا ومقاوما، يجعل من فعل الوجود إمكانية جديدة للتفلسف وللخلق راهنا. إذ ليس الفن هنا مجالا للفرار من الحقيقة مثلما اعتبر ذلك نيتشه ("لنا الفن كي لا تقتلنا الحقيقة")، وإنما هو مجال كي نحتمل هذه الحياة بكل فظاعتها وآلامها وانكساراتها.

" هل بوسعنا اليوم أن نفكر حقا في سردية جديدة في عالم بات يشهد "نهاية "السرديات الكبرى "

قراءة في كتاب "دولة اليهود" لتيودور هرتزل.

بقلم: **فهمي رمضاني**
أستاذ مبرّز في التاريخ
رئيس جمعية تونس الفتاة
fahmi@tounesaf.org

لم تكن الصهيونية مجرد حركة سياسية نشأت وترعرعت في القرن التاسع عشر في سياق إمبرالي وإنما تعتبر مشروعا فكريا متكاملا له سرديات وأفكار حاول مجموعة من المفكرين الترويج لها ونشرها. ومن أهم هؤلاء المفكرين نذكر موسي هس في كتابه "روما والقدس" وليون بنسكر في كتابه "الطريق إلى الحرية" وخاصة تيودور هرتزل الذي نجح في بلورة عمل سياسي لإقامة وطن قومي لليهود خارج أوروبا وبهذا المعنى يمكن اعتباره الأب الروحي للدولة الصهيونية والمنظر الأول لها، فقد شكل المنظمة الصهيونية وأشرف على المؤتمر الصهيوني الأول بمدينة بازل السويسرية وشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين. لذلك من الأهمية بمكان العودة اليوم لمؤلفه لفهم البرنامج الذي وضعه هرتزل والذي نجح في تحويله إلى إطارا ملموسا وعمليا للصهيونية السياسية.

ولد تيودور هرتزل في المجر في حي يهودي في عائلة يهودية علمانية وكان من المعجبين بفرديناند دي ليسبس صاحب مشروع قناة السويس في مصر، قرأ كذلك أعمال شكسبير ودرس القانون في جامعة فيينا، لكنه توجه فيما بعد للعمل في الصحافة. تأثر هرتزل بسياق معاداة السامية الذي ميز أوروبا خلال القرن التاسع عشر وخاصة قضية دريفوس الجندي الفرنسي اليهودي الذي تم اتهامه ظلما بالتجسس لصالح ألمانيا. وقد كان لهذه الحادثة الأثر الكبير على تيودور هرتزل الذي يقول في إحدى مذكراته بأن قضية دريفوس حولته من يهودي إلى صهيوني خاصة بعد أن رأى الحشود في أوروبا تهتف بصوت واحد "الموت لليهود".وقد أكد هرتزل بعد هذه الحادثة على زيف فكرة الاندماج في المجتمعات الأوروبية التي اعتبرها وهما إذ بالنسبة إليه لا يمكن لليهود أن يعشوا في مجتمعات تكن لهم البغضاء والحقد وأن الطريقة الوحيدة لتجنبها هي إنشاء دولة يهودية. يقول في إحدى مذكراته " في باريس أدركت خواء وعقم محاولة محاربة المعاداة للسامية".

شرع تيودور هرتزل فيما بعد في تأليف كتيبات صغيرة عن دولة يهودية وعن مشاريع استيطانية يقوم بها اليهود لتكوين دولتهم ثم ألف في نهاية 1895 كتابه الذي حمل عنوانا يكشف عن مشروع صاحبه "دولة اليهود" والذي سينشر- سنة 1896. ترأس هرتزل فيما أول مؤتمر صهيوني عالمي بمدينة بازل السويسرية للدعوة إلى ضرورة إيجاد وطن قومي لليهود.

يعتبر كتاب "دولة اليهود" طرحا جديدا للمسألة اليهودية من أجل الترويج لها على مستوى عالمي، باعتبارها مشروعا واقعيا قابل للتطبيق لا مجرّد حلم مثالي. ويتمثل الطرح الجديد الذي سيعتمده هرتزل في هذا الكتاب في بناء خطاب يقوم على التأسيس للسرديات الكبرى التي ستضمن استمرار الدولة اليهودية. المميز في هذا الكتاب كذلك هو أن المؤلف يشرح بإسهاب مراحل تأسيس الدولة اليهودية وكل التفاصيل المتعلقة بذلك كعلم الدولة مثلا الذي اقترح أن يكون أبيض به سبعة نجوم ذهبية اللون حيث ترمز المنطقة البيضاء إلى حياة اليهود الجديدة النقية بينما ترمز النجوم إلى الساعات الذهبية السبع التي يتكون منها يوم عمل اليهودي. يقول هرتزل "ليس العلم مجرد قطعة قماش فيه يستطيع الشخص أن يقود الناس أينما أراد إلى أرض الميعاد".

وعلى الرغم من إحساس هرتزل بأن بعض أفكار هذا الكتاب مغرقة في الحلم والطوباوية فإنه كان مقتنعا بقابليته للتطبيق كمشروع سياسي لحل المسألة اليهودية. يقول في المقدمة " فكرة الكتاب هي بالغة القدم ألا وهي إحياء دولة اليهود فانا اعتقد ان قضية اليهود لم تعد قضية اجتماعية أو دينية. إنها قضية قومية لا يمكن حلها إذا أصبحت قضية سياسية عالمية يتم تسويتها في ظل مجلس تتشاور فيه الأمم المتحضرة". من الأفكار الخطيرة التي روج لها هرتزل في كتابه هي تلك المتعلقة بالسرديات الكولونيالية حيث يعتبر أن الاستيطان اليهودي سيرتقي

> *على الرغم من إحساس هرتزل بأن بعض أفكار هذا الكتاب مغرقة في الحلم والطوباوية فإنه كان مقتنعا بقابليته للتطبيق كمشروع سياسي لحل المسألة اليهودية*

بالمنطقة ويجلب لها النماء وهي نفس السرديات التي روجت لها الدول الاستعمارية التي اعتبرت مهمتها تتمثل في نشر الحضارة ورسالة الرجل الأبيض. يقول هرتزل " ستفيد هجرة اليهود السكان الأصليين في فلسطين لأننا سنزيد رفاهيتهم وثروتهم ويضيف "لن يشك أحد بأن السماح لعدد من اليهود بالهجرة يأتون بذكائهم ومهاراتهم المالية ووسائل استثماراتهم في البلاد سيؤدي إلى نتيجة سعيدة وتحسن الدولة كلها".

يستعرض هرتزل كذلك تاريخ معاناة اليهود عبر التاريخ من أيام السبي البابلي والاضطهاد الروماني إلى العصور الوسطى والحديثة التي تميزت بسياق معاداة السامية فينتهي إلى أن مشكلة اليهود ليست سياسية أو اجتماعية وإنما قومية سيقع حلها بالعودة لأرض الميعاد. ومن خلال الفصول الخمسة للكتاب الكتاب يمكننا فهم السرديات الكبرى التي يدافع عنها هرتزل مثل سردية الأرض الموعودة وسردية الشعب المختار وهي كلها سرديات توراتية تستند إلى قراءة دينية للتاريخ. أما بالنسبة للوطن القومي فيقول هرتزل: هل يتعين علينا اختيار فلسطين ام الأرجنتين فالأرجنتين واحدة من أخصب الأراضي وتمتد لمساحة هائلة اما فلسطين فهي وطننا التاريخي الخالد في ذاكرتنا ابد الدهر. يشير هرتزل على أهمية تعاون الشباب اليهودي لإنجاح المشروع الاستيطاني إذ يقول"وأحسب أن

DER

JUDENSTAAT.

VERSUCH

EINER

MODERNEN LÖSUNG DER JUDENFRAGE

VON

THEODOR HERZL

DOCTOR DER RECHTE.

رواج الفكرة سيعتمد في الأساس على شباب اليهود المتحمس الذين انغلقت أمامهم كل سبل التقدم، ويرون في الدولة اليهودية الغد المشرق الحامل لكافة معاني الحرية والسعادة والشرف".

يعتبر هرتزل أن شراء الأراضي هو أهم خطوة لإنجاح المشروع الاستيطاني لأن الدولة اليهودية ستعتمد على انتزاع الأراضي من الأهالي لذلك وجب على كل يهودي شراء الأراضي وبأي ثمن كانت.

الكتاب يسقط في تناقض صارخ فهو من جهة إعلان عن مشروع سياسي لدولة ديمقراطية لليهود وهو من جهة أخرى عزف على الوتر الديني والروايات التوراتية غير التاريخية كما أنه يتجاهل الشعوب الموجودة في فلسطين إذ لم يتم ذكر الفلسطينيين أبدا وكأنه بذلك يستبطن مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"

» الكتاب يسقط في تناقض صارخ فهو من جهة إعلان عن مشروع سياسي لدولة ديمقراطية لليهود وهو من جهة أخرى عزف على الوتر الديني والروايات التوراتية غير التاريخية «

عن الإبادة الجماعية في فلسطين وصراع السرديات

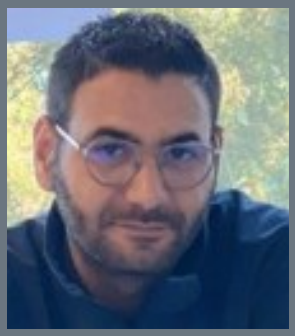

بقلم: أحمد بلال القطّي
باحث في علم الاجتماع

"إنّ العلاقة التّي تربط الأيديولوجية الصهيونية بالديانة اليهودية علاقة استلاب بامتياز"

عالم على وشك التلاشي ... مقدّمة خارج السياق

إنّ العمل الأكاديمي، في جوهره، هو ممارسة حرّة وعقلانية، تستبطن ما هو إنساني للمساهمة في خلق الفكر والإبداع من خلال البحث عن الحقيقة دون تكلّف أو ازدواجية أو مزايدة. إنّها بالفعل ممارسة حرّة للحقيقة بقدر ما هي ممارسة حقيقية للحريّة.

وتختزن مواقف الباحث والمثقّف من قضايا الواقع المعقّد نظرته للعالم والعلاقات والبنى القائمة، كما تكشف عن مقارباته في فهم شروط الحياة البشرية. فمن خلال بحثنا عن الحقيقة، نعكس نظرتنا للعالم ونبني معرفتنا بالإنسان ونساهم في تأثيث وجوده في العالم.

وننطلق في تكوين مواقفنا من جملة المسائل والقضايا في واقعنا من نظرة إنسانية عميقة جوهرها البحث عن الحقّ وهدفها الأسمى تحقيق العدل بعيدا عن أي تأثير لعوامل دينية كانت أو عرقية أو أيديولوجية، **أو على الأقلّ هكذا كنّا نظنّ**.

فقد كشف العدوان الصهيوني الوحشي على قطاع غزّة والمستمر حتّى لحظة كتابة هذا المقال، بؤس هذا العالم وزيف شعاراته وتشريعاته. كما فضح ازدواجية المعايير فيه وأسقط الأقنعة من خلال المواقف المخزية للبعض، وأطلق جوقة المدافعين عن جرائم الاحتلال والمفسّرين للقانون الدولي وفقا لهويّة الجلاّد والضحيّة، حتّى استحالت المقاومة إرهابا والبربرية والهمجيّة والتعطّش للدماء من طرف الاحتلال إلى دفاع مشروع عن النفس. وهو ما أطلق يد الاحتلال مستغلاّ ازدواجية المعايير التّي تحكم مواقف دول وجهات مختلفة لارتكاب المجازر والجرائم في غزّة والضفّة وفي كلّ فلسطين المحتلة.

فضحت دماء الفلسطينيّين في غزّة سياسة الكيل بمكيالين تلك، وكشفت الوجه الحقيقي لدعاة حقوق الإنسان والقانون الدولي من سياسيّين وناشطين وباحثين أكاديميّين وغيرهم، كما كشفت عن هشاشة المفاهيم وسهولة التلاعب بها أو قلبها، وغلبة منطق أفضلية أو علوية فئة من البشر على حساب أخرى.

إنّ السكوت على هذه الجريمة الهمجية التّي يشنّها الكيان الصهيوني على المدنيّين العزّل في غزّة، هو أبرز دليل على حاجتنا أكثر من أي وقت مضى لوضع سرديات ورؤى خاصّة بنا للعالم والشروع في بناء معرفة ثورية مقاومة. فالعالم لا يتكوّن من ذرّات فحسب، بل قوامه الأساسي هو القصص التّي تسرد فيه وعنه. وقد تبيّن للجميع أنّ أولئك الذّين يسردون القصص يحكمون العالم. فحقّ الشهداء ممّن قضوا في غزّة علينا، هو أن نحفظ أسمائهم ونسرد قصصهم، وأن نقدّمهم للعالم لا كما يصوّرهم العدوّ الصهيوني، بل كما كانوا، محبّين للحياة مقبلين عليها. يجب أن نذكرهم دائما لكيلا ننسى ولا نغفر ولكي يتذكّر الجميع وجه الشرّ ويفقهوا الفظاعات التّي تحدث عندما ينتصر الشرّ ويطغى.

تثبيت السردية الصهيونية... "العربي الفلسطيني الجيد هو العربي الفلسطيني الميت"

كلّما استعمل الكيان الصهيوني آلة القتل المخوّلة أمريكيا ليستبيح بها دماء الأطفال والنساء من الفلسطينيين، عادت عدد من السرديات التوراتية والتلمودية لتظهر إلى السطح في الأوساط الصهيونية داخل الأراضي المحتلة، وليتمّ تناولها إعلاميا لتغذية خطاب الكراهية الموجّه للاستهلاك الداخلي في كيان الفصل العنصري. وذلك لتبرير ما يحدث من تصفية عرقية وإبادة جماعية للفلسطينيين في غزّة والضفّة ولبنان في الماضي (مجزرة صبرا وشاتيلا). وهو ما يدفعنا إلى البحث في هذه السردية وتقديمها للرأي العام العربي، لا استنادا إلى سرديات أسطورية على غرار المجتمع الدولي وحقوق الإنسان واتفاقيات جينيف وتشكيلة واسعة من النفايات الصلبة الأخرى التّي تبيّن أنّها مجرّد شعارات للاستهلاك الإعلامي، بل من أجل فضح ممارسات هذا الكيان وإسكات أصوات النشاز المتصاعدة من المتصهينين بيننا من الداعين للتطبيع والمتربّصين بالمقاومة.

اعتمدت السردية الصهيونية التي أسست للحق التاريخي والديني لليهود في فلسطين، على عملية إنكار الآخر (العربي الفلسطيني) وتصويره بشكل بشع وتشويه صورته أمام الرأي العام العالمي، ووصفه بشكل دائم بالمخرب والمجرم والكاره للعلم والحياة. سردية وقع تكريسها واقعيا مع تسلل قيادة منظمتي الهاجاناه وإيتسل الإرهابيتين، اللتين ترجمتا هذه السردية لإجراءات محسوسة تتمثل في سياسة التطهير العرقي والإبادة والتهجير مجسّدين بذلك مقولة أنّ "العربي الفلسطيني الجيد هو العربي الفلسطيني الميت"، وهكذا ردّدوها لأجيال حتى يومنا هذا.

نسأل في هذا الصدد سؤالا محوريا، قبل الغوص في تحليل السرديات التّي يستعملها العدوّ الصهيوني لتبرير جرائمه من إبادة جماعية وتصفية عرقية في حقّ الشعب الفلسطيني. وهو سؤال مرتبط بالإصرار الصهيوني على تغييب الفلسطيني وحقوقه لا في الأراضي المحتلّة فحسب بل في كلّ أرجاء المعمورة، ومدى ارتباط هذه الحالة بالإيديولوجية الصهيونية ومقولاتها التّي تأصّل نظريا وعقائديا وممارسة موقفها من الفلسطيني خصوصا والعربي عموما. كما نسأل عن أيّ علاقة لهذه الإيديولوجية بالميكانيزمات الصهيونية المرتبطة بالدفاع عن النفس والبقاء المتوحشة.

وتقتضي منّا الإجابة عن هاته التساؤلات، تحديد العلاقة بين الصهيونية واليهودية والكشف عن الخيط الرفيع الفاصل بينهما من جهة وتحليل الأفكار المحورية والأساطير المرتبطة بالبناء الأيديولوجي الصهيوني الذّي لا يعترف بالآخر.

إنّ العلاقة التّي تربط الأيديولوجية الصهيونية بالديانة اليهودية علاقة استلاب بامتياز تقوم على ثلاثة مستويات مركّبة أوّلها مرتبط بالموقف الرافض للدين

Unicef

اليهودي، والثاني على علاقة باستغلال السرديات الدينية التوراتية لاكتساب شرعية الوجود وتجنيد الجماهير وتبرير القتل وارتكاب المجازر، وثالثها مرتبط موضوعيا وعضويا بالأفكار السياسية للإيديولوجية الصهيونية المستقاة من الأفكار الدينية اليهودية. تكشف هذه المستويات الثلاث محاولة الأيديولوجية الصهيونية استلاب اليهودية عن طريق إعادة صياغتها على أسس قومية وعرقية من أجل إضفاء شرعية على مشروعها الإحلالي في المنطقة.

إنّ الفكرة المحورية التّي تدور في فلكها الإيديولوجية الصهيونية تقوم في الأساس على منطلقات فرضية عنصرية، أساسها التفوّق العرقي اليهودي واختلافه عن بقية شعوب الأرض مكرّسة بذلك أسطورة "اليهودي الخالص والعربي الغائب". فبقية شعوب الأرض حسب الإيديولوجية الصهيونية العنصرية هم "أغيار" لا يمكن الاندماج معهم، لذلك فإنّ قيام إسرائيل المتخيّلة يبدأ بتصفية وتغييّب الوجود العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلّة. حيث يرى عدد من المفكّرين الصهاينة بأنّ القبول بالأمر الواقع والاندماج مع العرب والفلسطينيين هو "خطر يهدّد الحياة اليهودية" وذهب البعض الآخر إلى أنّ الوجود الفلسطيني في الأراضي المحتلّة هو "خطيئة" و"جريمة" و"عار" يحطّ من كرامة اليهودي.

لقد وظّفت الحركة الصهيونية تلك الأساطير العنصرية من خلال تقسيمها للعالم ليهود وأغيار في تبنّي موقفها المبدئي من الإنسان العربي الفلسطيني، وهي تكرّس ذلك المبدأ واقعيا لا فقط من خلال تشويه الصورة وتزييف الحقائق بل من خلال عمليّة تغييّب ممنهجة للعربي والفلسطيني سواء بالقتل أو الإبادة أو التهجير.

غزّة: إبادة جماعية تستهدف النساء والأطفال

إنّ الإبادة الجماعية متجذّرة في التاريخ الإنساني، وهي مرتبطة عادة باستهداف الذكور البالغين للجماعة والتّي عادة ما ترافقت بالعبودية للأطفال والنساء أو اتخاذ المحظيات من النساء. يصف البطل في أوديسا هومر ما فعله عقب غارته على الأزماروس بالشكل التالي:

«سلبت المدينة وقتلت الرجال. فيما يتعلّق بالنساء والغنائم ... فقد قسمتها بصورة عادلة بقدر ما أستطيع فيما بين الجميع. »

وهي عملية تضمن للمعتدي القضاء على الجماعة المعتدى عليها من خلال قطع نسلها وتشتيته من خلال توزيع النساء والأطفال كعبيد ممّا يحدث خللا في الضمير الجمعي للجماعة ويتسبّب في قطيعة لاستمراريته.

كما نجد في التاريخ القديم والمعاصر عمليات إبادة للجذر والفرع، وهي عمليات إبادة تتوسّع إلى ما وراء الذكور البالغين، والجذر هو الأنثى التّي تلد الطفل (الفرع)، وهؤلاء يستهدفون عادة بسبب أنّهم قد يكبرون ليقاتلوا ويأخذوا بالثأر، والجذور من الإناث يستهدفون عادة لقدرتهم على ولادة جيل جديد من المقاومين.

> لقد وظّفت الحركة الصهيونية تلك الأساطير العنصرية من خلال تقسيمها للعالم ليهود وأغيار في تبنّي موقفها المبدئي من الإنسان العربي الفلسطيني

«الإبادة الجماعية »، تلك كلمة يجب أن تستخدم باعتدال دائماً. حيث هناك العديد من الفظائع والجرائم التّي ارتكبت عبر التاريخ والتي تعتبر بشعة بما فيه الكفاية بشروطها الخاصة دون أن تشكّل إبادة جماعية. لكن ما يحدث في غزّة من إجرام صهيوني، قد توفّرت فيه أركان جريمة الإبادة الجماعية كاملة، وذلك بشهادة عدد من المراقبين والحقوقيين حيث يقول مدير مكتب مفوضية حقوق الإنسان المُستقيل " كريج مخيبر" الذّي استقال احتجاجا على صمت المنظمات الأممية أمام الأحداث في قطاع غزة بسبب الانفصال بين المعايير والنظم الإنسانية وحقوق الإنسان من جهة، والموقف السياسي للمنظمات من جهة أخرى والتّي تبلغ حدّ محاولات لإسكات الأصوات الداعية لاحترام حقوق الإنسان، الآتي:

"*عادة ما يكون الجزء الأكثر صعوبة في إثبات الإبادة الجماعية هو النية لأنّه يجب أن تكون هناك نية لتدمير مجموعة معينة كلّيا أو جزئيا. في هذه الحالة، كانت نية القادة الإسرائيليين واضحة للغاية وصرّح بها علنا رئيس الوزراء، الرئيس، كبار الوزراء في الحكومة، القادة العسكريين، ممّا يجعلها قضيّة سهلة الإعداد، إنّه أمر معروف للجميع. إذا تمكّنا من الادعاء بأنّنا نرى جرائم حرب وجرائم ضدّ الإنسانية كما فعلنا في كثير من الأحيان، فلا يوجد سبب لاستبعاد المكان الذّي نرى فيه أدلّة قويّة للغاية على احتمال ارتكاب إبادة جماعية. وأعتقد أنّكم ستسمعون ذلك المصطلح أكثر فأكثر فيما يتعلّق بما نشهده في غزّة ... أشعر بثقة تامّة كمحام في مجال حقوق الإنسان عندما أقول أنّ ما أراه يحدث في غزّة وخارجها هو إبادة جماعية.*"

> غذّت الاستعارة التوراتية من قبل الصهيونية آلة الحرب الإسرائيلية المتعطّشة للدماء

ولا يكاد يمرّ على بداية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة شهر واحد، وقد تجاوز عدد الشهداء من الأبرياء العشرة آلاف، بينهم أكثر من 3000 امرأة، كما تجاوز عدد الأطفال الـ 6000 بينهم أكثر من 260 مجهولي الهويّة كما أصيب 6400 ويتمّ الآلاف بالإضافة إلى أكثر من 1200 تحت الأنقاض والأعداد في ارتفاع مستمر، فآلة القتل الإسرائيلية لا تتوقّف مستهدفة كلّ أنواع الأهداف المدنية من مدارس ومستشفيات وكنائس ومساجد.

غزّة: جريمة الإبادة الجماعية استنادا للسرديات التوراتية

لطالما تعمّدت الحركة الصهيونية تمثيل نفسها بالنبيّ داود الذّي قتل بحجر ومقلاع جالوت الجبّار المتمثّل بالعرب، وهي سردية وردت في العهد القديم «وَمَدَّ دَاوُدُ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ وَأَخَذَ مِنْهُ حَجَرًا وَرَمَاهُ بِالْمِقْلاَعِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ فِي جَبْهَتِهِ، فَارْتَزَّ الْحَجَرُ فِي جَبْهَتِهِ، وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ.» **1 صموئيل 17: 49**. وقد تابع الوهم الصهيوني تثبيت هذه السردية التّي تزعم بأنّها قانون تاريخي منح "القوّة الأبدية لإسرائيل" و"الضعف الأبدي للعرب والفلسطينيين" ممّا دفع لترسيخ هذا الزعم الواهم من طرف القيادات الصهيونية السياسية والعسكرية أنّ قوّتهم في المنطقة تسمح لهم بوضع سقف حدود المسموح والممنوع دون رقيب أو حسيب.

غذّت الاستعارة التوراتية من قبل الصهيونية آلة الحرب الإسرائيلية المتعطّشة للدماء، حيث ومنذ إنشاء هذا الكيان، سعى القائمون عليه للإشارة في كلّ صراع إلى جملة من السرديات التوراتية والتلمودية التّي تغذّي خطاب الكراهية وتبرّر القتل والإبادة في حقّ الفلسطينيين، وقد وثّق العديدون فتاوى يهودية تبيح للجيش الإسرائيلي قتل النساء والأطفال الفلسطينيين. وتستند تلك الفتاوى إلى أساطير وردت في العهد القديم على غرار قصة المجزرة التي تعرض لها شكيم ابن حمور والتي وردت في سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التي تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقا لأخلاقيات الحرب. وقد وردت هذه القصّة في سفر التكوين على النحو التالي «فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ شِمْعُونَ وَلاَوِي أَخَوَيْ دِينَةَ أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. 26 وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. 27 ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. 28 غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. 29 وَسَبُوا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ. 30»**سفر التكوين 34: 26-30.**

وقد وردت هذه القصّة بشكل مباشر وواضح في رسالة أرسلها مردخاي إلياهو، خلال عدوان 2008-2009 على غزّة -الذي يعتبر المرجعية الدينية الأولى للتيار الديني القومي في إسرائيل- برسالة إلى رئيس الوزراء إيهود أولمرت آنذاك وكل قادة إسرائيل ضمن نشرة عبارة عن كتيب أسبوعي يتم توزيعه في المعابد اليهودية كل يوم جمعة.

كما وردت أسطورة توراتية أخرى، اعتمد عليها الصهاينة لتبرير إبادة الفلسطينيين على لسان الحاخام شموئيل إلياهو الذّي أفتى في صحيفة »يديعوت أحرونوت« الإسرائيلية رداً على سؤال: هل يجوز قتل النساء والأطفال في الحرب؟ أنه »من الخطأ قتل الأطفال والنساء، لكن في حال كان هؤلاء الأطفال والنساء وسط الرجال من أعداء "إسرائيل"، فإنه من المباح أن يقوم الجيش بما قام به البطل التوراتي اليهودي شمشون من هدم المعبد فوق رأس الجميع بلا تمييز«، وقصّة شمشون هذا وردت في العهد القديم في إشارة واضحة إلى الفلسطينيين كأعداء لليهود وجب قتلهم حتّى إن أدّى ذلك لخسائر في أرواح الأبرياء «23 وَأَمَّا أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فَاجْتَمَعُوا لِيَذْبَحُوا ذَبِيحَةً عَظِيمَةً لِدَاجُونَ إِلهِهِمْ وَيَفْرَحُوا، وَقَالُوا: «قَدْ دَفَعَ إِلهُنَا لِيَدِنَا شَمْشُونَ عَدُوَّنَا». 24 وَلَمَّا رَآهُ الشَّعْبُ مَجَّدُوا إِلهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: «قَدْ دَفَعَ إِلهُنَا لِيَدِنَا عَدُوَّنَا الَّذِي خَرَّبَ أَرْضَنَا وَكَثَّرَ قَتْلاَنَا .« 25 وَكَانَ لَمَّا طَابَتْ قُلُوبُهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: »ادْعُوا شَمْشُونَ لِيَلْعَبَ لَنَا .«فَدَعَوْا شَمْشُونَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ، فَلَعِبَ أَمَامَهُمْ. وَأَوْقَفُوهُ بَيْنَ الأَعْمِدَةِ. 26 فَقَالَ شَمْشُونُ لِلْغُلاَمِ الْمَاسِكِ بِيَدِهِ: »دَعْنِي أَلْمِسِ الأَعْمِدَةَ الَّتِي الْبَيْتُ قَائِمٌ عَلَيْهَا لأَسْتَنِدَ عَلَيْهَا 27 .«وَكَانَ الْبَيْتُ مَمْلُوءًا رِجَالًا وَنِسَاءً، وَكَانَ هُنَاكَ جَمِيعُ أَقْطَابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَعَلَى السَّطْحِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ يَنْظُرُونَ لِعْبَ شَمْشُونَ. 28 فَدَعَا شَمْشُونُ الرَّبَّ وَقَالَ: »يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ نَقْمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَيَّ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ 29 .«وَقَبَضَ شَمْشُونُ عَلَى

الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِمًا عَلَيْهِمَا، وَاسْتَنَدَ عَلَيْهِمَا الْوَاحِدِ بِيَمِينِهِ وَالآخَرِ بِيَسَارِهِ. 30 وَقَالَ شَمْشُونُ: «لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ .«وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي فِيهِ، فَكَانَ الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ. 31 فَنَزَلَ إِخْوَتُهُ وَكُلُّ بَيْتِ أَبِيهِ وَحَمَلُوهُ وَصَعِدُوا بِهِ وَدَفَنُوهُ بَيْنَ صُرْعَةَ وَأَشْتَأُولَ، فِي قَبْرِ مَنُوحَ أَبِيهِ. وَهُوَ قَضَى لإِسْرَائِيلَ عِشْرِينَ سَنَةً. »**سفر القضاة 23 - 31.**

كما ورد على لسان الحاخام الأكبر لمدينة صفد شموئيل إلياهو »إذا قتلنا 100 دون أن يتوقفوا عن ذلك فلا بد أن نقتل منهم ألفاً، وإذا قتلنا منهم 1000 دون أن يتوقفوا فلنقتل منهم 10 آلاف. وعلينا أن نستمر في قتلهم حتى لو بلغ عدد قتلاهم مليون قتيل، وأن نستمر في القتل مهما استغرق ذلك من وقت«، معلّلا ذلك بما ورد في المزامير »المزامير تقول: سوف أواصل مطاردة أعدائي والقبض عليهم ولن أتوقف حتى القضاء عليهم!«

وكانت صحيفة «هآرتس» قد نشرت في مناسبات مختلفة فتاوى لحاخامات في "إسرائيل" أفتوا فيها بأنه «يتوجب على اليهود تطبيق حكم التوراة الذي نزل في قوم عملاق (أحد الأقوام الذين ورد في التوراة أنهم حاربوا اليهود) على الفلسطينيين، وهو الحكم الذي ينص على قتل الرجال والأطفال وحتى الرضع والنساء والعجائز منهم، وسحق البهائم. وقد ورد على لسان أحد الحاخامات »يتوجب تطبيق حكم عملاق على الفلسطينيين، حيث إن الرب كلف بني إسرائيل بعد ذلك بشن حرب لا هوادة فيها ضد العماليق«، وتلا الحكم الذي يقول: »اقضوا على عملاق من البداية حتى النهاية.. اقتلوهم وجردوهم من ممتلكاتهم، لا تأخذكم بهم رأفة، فليكن القتل متواصلاً.. شخص يتبعه شخص، لا تتركوا طفلاً، لا تتركوا زرعاً أو شجراً، اقتلوا بهائمهم من الجمل حتى الحمار«

وظّفت الإيديولوجية الصهيونية السرديات التوراتية في الدعاية الإبادوية ولا تزال، حيث كانت تلك السرديات ذات أهمّية مركزية في تعبئة السكّان والجيش لارتكاب الأعمال الوحشية ضدّ الفلسطينيين، ممّا يجعل من جريمة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي مؤسّسة ومنظّمة في الفكر الصهيوني الذي لطالما تعامل مع العربي الفلسطيني على مستويات عدّة، اتّسمت كلّها بأنها تجرّده من وجوده المتعيّن تجريدا متزايدا حتّى يختفي كليّا ويتحوّل من "العربي المتخلّف" وهي الصورة التّي تصدّرها الدعاية الصهيونية عن الفلسطيني في الخارج إلى "العربي الغائب" وهو ما تطمح إليه وتضمره الصهيونية في الداخل.

”

كانت تلك السرديات ذات أهمّية مركزية في تعبئة السكّان والجيش لارتكاب الأعمال الوحشية ضدّ الفلسطينيين

“

المراجع والمصادر العربية:

إسماعيل أحمد ياغي، **الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني**، العبيكان للنشر. الرياض 2003.

رشاد عبد الله الشامي، **إشكالية الهوية في إسرائيل**، سلسلة عالم المعرفة (224)، الكويت، 1997، 245 – 256.

عامر حمزة حسين، "الجذور التاريخية لثقافة العنف والإبادة الجماعية العهد القديم أنموذجا"، 2019، *Journal of Education College Wasit University*, 1 (34), 209-224

عبد القادر الجبارين، خليل محمد أبوعلان. (2017). "التلمود وعلاقته بالعنصرية الصهيونية والسياسة الإسرائيلية (دراسة وتحليل)" *Kufa Journal of Arts*, 1(31).

عبد الوهاب محمد المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة 60، الكويت، 1983.

عبد الوهاب محمد المسيري، **البروتوكولات واليهودية والصهيونية**، القاهرة، دار الشروق، الطبعة1، 2003.

عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المجلد 6، القاهرة، دار الشروق، الطبعة1، 1999.

الجزيرة نت. (August 7 ,2022). سامح عودة، "اقتلوهم جميعا حتى الرُّضع منهم".. الجذور الفكرية لعقيدة الإبادة الصهيونية. الجزيرة نت (ميدان).

العربية نت. (17 يناير 2009). "فتاوى يهودية تبيح للجيش الإسرائيلي قتل النساء والأطفال بغزة". العربية نت.

صحيفة العرب القطرية. (2 فبراير 2009). "فتاوى الحقد!". المركز الفلسطيني للإعلام.

الجزيرة نت. (23 أكتوبر 2023). " خبير بالقانون الدولي: إسرائيل تمارس "التطهير العرقي" و"الإبادة الجماعية" في غزة". الجزيرة نت.

المراجع والمصادر الأجنبية:

Avnery, Uri. *Israel without Zionists: A Plea for Peace in The Middle East.* New York: The Macmillan Company, 1970.

Ben Ezer Ehud (Ed.). *Unease in Zion.* New York: Quadrangle/The New York Times Book Co.,1974.

Christison, K., & Christison, B. (2015). *Zionism as a Racist Ideology: Reviving an old theme to prevent Palestinian ethnocide. In Globalization of Racism* (pp. 111-127). Routledge.

Jones, A. (2016). *Genocide: A comprehensive introduction.* Routledge.

Massad, J. (2003). ”The ends of Zionism: Racism and the Palestinian struggle”. *Interventions,* 5(3), 440-448.

Neipp, D. (2012). *The dilemma of genocide in the Old Testament.* Liberty University.

Rashed, H., Short, D., & Docker, J. (2014). “Nakba memoricide: genocide studies and the Zionist/Israeli genocide of Palestine”. *Holy Land Studies,* 13(1), 1-23.

Trimm, C. (2022). *The Destruction of the Canaanites: God, Genocide, and Biblical Interpretation.* Wm. B. Eerdmans Publishing.

يـــــا أساتذةَ العـــالـمِ اتـــــــحـــــــدوا...
مقال لفيليب ميريو (الجزء الأوّل)

ترجمة: **خالد جبور**
أستاذ مبرّز في الترجمة

"*لا نتحمس كثيرا للطرق البيداغوجية التـي يُقال أنّ نتائجَها "معجزات"*"

هناك بورصة شيكاغو لتجارة الحبوب، ومؤشّـر نـازداك NASDAQللصّناعات الرقمية، وكـاك 40 (CAC 40)للمبادلات المالية في باريس... أما لمنظوماتنا التعليمية فالكل يعلم أن دراسات بـيـزا PISA (1) هــي بمثابة المنظّمة العابرة للقارات، والتـي تفعل فيها ما تفعله تلك المنظّمات فـي باقـي القطاعات. فمنذ سنة 2000، يسهرُ هذا البرنامج الدولي الذي يُعنى بمتابعة مكتسبات المتعلّمين والمُتعلّمات، علـى تقييم مستوى هؤلاء إلــى حدود سن الخامسة عشرة، من حيث تمكّنهم من ضوابط الكتابة، وقدراتهم في مجال الرياضيات، ومستوى معارفهم العلمية. وفـي هذا الصدد، يقارن البرنامجُ نتائجَ دراساته بين دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE والعديد من الدول فـي العالم. إنّ نشرَ هذا التقرير السنوي يُسيل لعاب كـلِّ المتخصّصين فـي الحقل التعليمي، وتُرافِقُه تعاليق لا متناهية فــي جعجعة إعلامية ضخمة.

ولكن، مع تعاقب السنين، أصبحت تأويلاتُ هذا التقرير تكتسـي طابعا حذرا أكثر فأكثر. فَلَمْ يعد القائمون علــى هذا التقرير يلوّحون بالتقسيم حسب الدول، وهم على حق فـي ذلك، إذ أنّ عددَ هذه الأخيرة لا يفتأ يرتفع ارتفاعا كبيرا ما بين تقرير وتقرير. وفـي بلدنا (فرنسا)، لم نعد نَهُبُّ لربط نتائج التقرير المعلوم بـالإصلاحات التـي نُزِّلت فــي عهد وزراء التعليم السالِفين، علما أن التلاميذ فــي سن 14 عاشوا أكثر من إصلاح طيلة الاثنـي عشرة سنة الماضية.

إننا نتحاشــى المنظومات التعليميةَ التـي تسجّل أفضلَ النتائج كـي لا نجعلها نماذج يُقتَدى بها. ونقول إنّنا محقّون في ذلك، لأن أغلبَ هذه النماذج بعيدةٌ كل البعد عن أنْ تصبح نماذج موحَّدة، وإنّه، وبالرغم من كون أغلبها فـي آسيا، نجد أيضا نتائج ممتازة فـي دول عدة غير آسيوية، كـليتوانيا وكندا وأستراليا.

ولا نتحمس كثيرا للطرق البيداغوجية التـي يُقال أنّ نتائجَها "معجزات"، ونُصرّحُ أننا علـى صواب بالرغم من أن نموذجي فنلندا وكوريا الجنوبية يُبيّنان بالملموس نقيضَ ذلك: فالنموذج الأول ينبنـي على تشجيع التدرّب المكثّف الذي تُحفّزه سلسلة طويلة من الامتحانات والمباريات، مع انتقاء جذري ابتداء من نهاية السلك الابتدائـي، دون أن ننســى الضغط المُسلّط علــى الآباء والأولياء لمضاعفة زمن تعلّم أبنائهم عــبـر ســاعـات طِـوال من الدروس الإضافية المؤدّى عنها. أمّا النموذج الثاني، فيُحذَف فيه كـلُّ انتقاء وكـلُّ تقييم مُنَقّط إلــى حدود السنة الخامسة عشرة. فـي هذا النموذج، تُنبذُ المنافسةُ، ويُحفَّزُ التعاونُ والشراكة، ذلك أنَّ كـلَّ التلاميذ يُستقبلون فـي المدرسة الأساسية عينِها، طيلة فترة تمدرسهم الإجباري، والمدرسةُ عينُها تقترح، كـل ظهيرة، أنشطةً يدويةً وفنيةً أو رياضيةً لفائدة التلاميذ كـافة.

يجب أن نعترف بأننا لا يمكن أن نَخْلُصَ إلــى نتائج ثابتةٍ –نتائج دغمائية - انطلاقا من الدراسات والأبحاث التـي تُنجزها PISA. فتمحيصُ هذه الدراسات يُبطِلُ الطرحَ الدّاعي إلــى تدبيــر المؤسسات التعليميةِ بالاعتمادِ علـى النتائج: هل يريدون أن يحصلوا على نفس النتائج بتقليد فنلندا أو كوريا الجنوبية؟ فـي الواقع، **وبما أنه من المستحيل نقلُ تجربة من هذه التجارب وتنزيلُها فـي مجتمعنا، نظرا للخصوصيات المجتمعية والتاريخية التـي تـنـزل بثـقلها علـــى قطاع التعليم، فإن أي مقارنة دولية لا يمكن أن تُغنينا عن التفكيــر فـي مشروعنا التـربوي الخاص بنا**: أيُّ أطفال نريد تكوينهم لأي مجتمع، لأي عالَم؟ وما الـطُّرُقُ البيداغوجية التــي سنعتمدُ لتحقيق هذا المُبتغــى؟

يمكن القول – على أبعد تقدير- إنَّ تقارير بـيـــزا PISA "تُطلِعُنا على وضعيتنا و تطورها"، بعد نشـــر كـل تقرير جديد: نعلم إذن أننا بلدٌ من أكبر البلدان من حيث الهوة بين التلاميذ المتفوقين ونظرائهم ذوي النتائج المتدنيّة (ما يقارب أربع سنوات بين الفئتين). بالإضافة إلــى أننا فـي بلد حيث الأصولُ الاجتماعيةُ مِنْ أهمِّ محدّدات النّجاح والرسوب المدرسـيَـيْــن، زِدْ علــى ذلك أننا من البلدان التـي فيها تُخَصَّصُ أكبرُ حصة من الزمن المدرسـيّ لضبط الأقسام التي أصبح أبرزُ هاجس فيها هو ما يرتبط بالانضبــاط والسلوك على حساب التربية والتعليم. ونرى أيضا أنّ هذه المشاكل المتراكمة، وهذه الوضعية المتفاقمة، لم تَجِدْ بَعْدُ حلولا ناجعة فعّالة، وهذا سببٌ آخر للالتزام وحشد الجهود للدفاع عن هذا القطاع!

لكن، والحقُّ يُقال، مخطئٌ كـلُّ من يحصرُ هذا الالتزامَ دفاعا عن التعليم في التنزيل المنهجي لتقارير "بـيــزا" وتوصياتها فـــي المستويات الدراسية كـلّها. ذلك أنَّ الهوسَ بالمِحرار لا يؤدي

> ”
> هذا هو الخطر الأساسي للتقويمات المرتكزة على الجانب الكَمـيّ: إنّها تختـزلُ المشروعَ التربويَّ في ما يمكن حِسابُه وقياسُه ومقارنتُه
> “

Kenny Eliason/Unsplash

بين

[بالضرورة] إلى خفض درجة الحرارة! بل وأكثر من ذلك، قد يدفعنا [هذا الهوس] إلى إغفال أعراض مرضية أخرى متعددة وأشد خطورة، أعراضٌ إذا ما نالت ما تستحق من اهتمام، ستجعل حبلَ النجاة في متناولنا، إذْ ستقودنا إلى فهم الوضعية في شموليتها وإيجاد الحلول المناسبة لإشكالاتها المعقّدة.

هذا هو الخطر الأساسي للتقويمات المرتكزة على الجانب الكَمـيّ: إنّها تختـزلُ المشروعَ التربويَّ في ما يمكن حِسابُه وقياسُه ومقارنتُه، وبالتالي ما يمكن تداولُه في " البورصة الدولية للتربية"، حيث العملةُ السائدةُ هي تقارير "بيـزا". إنها تقود إلى اختزال التربية اختزالا رهيبا في كل ما هو قابلٌ للحساب والمقارنة، سواء في ما يتعلّق بالسياسات التعليمية، أو موقع العائلات في علاقتها بالمنظومة التربوية ونمط تعامل الآباء والأولياء مع تعلّمات أبنائهم، وهي مواقع وتعامل يُمليها في أغلب الأحيان ترتيب المؤسسات، بل وحتى في ما يتعلق بالممارسات الصفية حيث تطغى، أكثر فأكثر، ما أدانه وشجبه الأساتذة بالولايات المتحدة، طيلة سنوات، أي ما يسمى بـــ"التدريس من أجل التقويم" (2)

ما الهدفُ من التقييم: المقارنةُ أم التطوير؟

لاحظ ماركس وإنجلز، منذ سنة 1848، أنَّ المصانعَ، وهي تحت السيطرة المطلقة لهاجس رفع الأرباح، صارتْ آلةً ضخمةً تفرضُ على العمال الرضوخَ التام والقيامَ بأعمال متكررة تحكُمها فقط معايير قابلة للمقارنة. لقد فضح ماركس وإنجلز عالمًا لا إنسانيا وشَجَبَاه، وهو عَالَـمٌ العلاقاتُ البشر فيه خاضعةٌ للمتطلبات القاسية للعدد (الكم)، عالمٌ حيث البورجوازيةُ أغرقت كلَّ مناحي الحياة البشرية في " المياه المتجمّدة لأنانية الحساب". أما الشاعر بول كلوديل، برفضه حبسَ كتاباته داخل أي شكل من الأشكال النمطية القابلة للمقارنة، ومطالبته بشِعر يسمح بالتعبير عن "موسيقى الكلام"، فقط بواسطة اللعب بالإيقاعات والأوزان، فقد كتب سنة 1942: " يجب أن يكون في القصيدة رقمٌ يجعل كلَّ حساب غيرَ ممكن ".

كان هذا قبل ظهور PISA، أي قبل هيمنةِ التقييمات الكمّية واستئسادِ هاجس النتائج. كان هذا قبل الخلط بين الرقم والقيمة. يتساءلُ عالِمُ النفس، جون أوري: " ما ثمنُ تلميذ قادر على كتابة قصيدة، يلعب بالأرقام على سجيّته، ولا يخاف من أخذ الكلمة أمام أنظار زملائه، يكتشف معنى خريطة

جغرافية معيّنة، وينبهر أمام لوحة فنية؟ بكم؟ ذلك التلميذ المهذّب الذي يبتسم ويقول " صباح الخير" عند وصوله، صباحا، إلى المدرسة؟ "

هل يجبُ الطعنُ في كـلِّ تقييم للعملية التربوية؟

سيكون الخطرُ كبيرا، إنْ نحنُ احتمينا خلفَ التسويف واكتفينا بالتعليق، بل حتّى إذا طالبنا بعدم تحميل المسؤولية للمجتمع. لا شك أنّ العلاقة البيداغوجية هي دائما علاقة فريدة، وأن انعكاساتها لا تظهر في الأمد القريب، لكن، وبالرغم من ذلك، لا يمكن أن تكون قضيةً خاصة: إنَّ الأستاذ يشتغل ضمن نظام، تدفع له الدولةُ أجرا من أموال دافعي الضرائب. وغنيٌّ عن البيان أنَّ تربيةَ إنسان لا يمكن أن تنحدر إلى مستوى صناعة شيء من الأشياء، وأننا في منأى عن المساءلة علاقةً بالمساهمة في انبلاج الحرية والالتزام في تجربة التعلّم، لكن، رغم ذلك، لابد على الأقل أن نقدّم حسابا: **فالأستاذ، شأنه في ذلك شأنَ الطبيب، لا يمكن أن يرضخ لـ"شرط" النتيجة"، في حين أنه محكوم بشرط "الوسائل".** يمكن الجزم بصعوبةِ تقييم تلاقي المتعلّم والثقافة، بالاعتماد على معايير واقعية موضوعية (إلا إذا اعتبرنا التحضير لهذا التّلاقي، كالتحضير لمسابقة " من سيربح المليون")، لكن يجب إيجاد مؤشرات تُحيل إلى مدى التزام المدرّسين، ومستوى تطلّعاتهم. هناك خطرٌ داهمٌ يحدق بهذه الفئة: إنّه فقدان الحُظوة على نحو خطير.

لهذا بات مستعجَلا بالنسبة للمدرسين، ولكلّ من يشتغل في قطاع التربية، أن يُبَلوِرُوا آليات جديدةً لتقييم ممارساتهم، سواء في إطار حركات [ذات خلفية "بيداغوجية" أو في منظماتهم المِهْنِيّة. وإنه لمن غير اللائق ذاك التذمرُ السلبيُّ من الانعكاسات الوخيمة للتقييمات الدولية والمؤسساتية، خصوصا إذا لم يُرافِقْ هذا التذمرَ وهذا الرفضَ خلقٌ وإبداعٌ لبدائل عملية، تُقترَح وتُناقَش مع الدولة-المشغّل، وتُجرَّب بمعيّة المتعلّمين والمتعلّمات، وتُقدَّم لوسائل الإعلام ولآباء وأولياء التلاميذ.

”لا شك أنّ العلاقة البيداغوجية هي دائما علاقة فريدة، وأن انعكاساتها لا تظهر في الأمد القريب، لكن، وبالرغم من ذلك، لا يمكن أن تكون قضيةً خاصة“

شخصيا، اشتغلت بهذه الورش الشاقة في العديد من المناسبات. حاولنا في بعض المدارس الابتدائية وبمعيّة المدرسين والآباء أن نحدد بعض المؤشرات التي تمكّن من كشف وتعقب رغبة التلاميذ في القراءة وسَعيِهِم إلى استثمار مختلف الوثائق، وقدرتهم على تجنيد معارفهم في الرياضيات لحل بعض المشاكل التي يصادفونها في حياتهم اليومية، ورغبتهم في الإبداع الفني وكذلك مستواهم في التواصل الشفوي. تلزم الإشارة هنا إلى أنَّ تحديدَ واختيارَ هذه المؤشرات عمليّةٌ تقتضي الكثير من الدقة، وأنّ جمع المعطيات أمر شاقّ، لكنها مقاربة مثمرة للغاية.

أمّا بالنسبة إلى مسألة القراءة والاشتغال على الوثائق، على سبيل المثال، يمكن أن نعتمد على مجموعة من المؤشرات: كزيارة المكتبة أو استعارة الكتب وتلخيصها... وهذا لا يسمح لنا فقط بِتَتَبُّع تطوّر كل متعلّم على حِدَة، بل يمكّننا من تحديد هدف تربوي محفزّ لمبادرات جديدة سواء من طرف المدرّسين، أو الآباء أنفسهم. ستتضاعف العروض. سينبثق نادي القراءة. ستظهر عملية تبادل للكتب بين العائلات...وقد يذهب التلاميذ حدّ رفع تحدي الفوز بجائزة من الجوائز الأدبية!

وفي مدرسة إعدادية حيث حددّ المدرّسون مكافحةَ العنف وإنتاجَ الكتابات الطويلة هدفا للاشتغال، بَحَثنا، مع إشراك مندوبي التلاميذ، عن المؤشرات التي ستمكّننا من معرفة مدى التقدم في شِقَّي هذا الهدف (مكافحة العنف وإنتاج كتابات طويلة). في بادئ الأمر، نختار مؤشرات بسيطة: كانخفاض عدد المشاجرات في ساحة المدرسة، أو عدد حالات الطرد من القسم نتيجة سلوكات عنيفة... لكّن، وفي الوقت نفسِه، نعثر على مقترحات لمؤشرات مذهلة: كعدد المناقشات أو المناظرات أو نسبة المتعلمين المنخرطين في أعمال ذات طابع تعاوني، أو حتى نسبة ارتياد الجمعية الرياضية! إن البحثَ عن مؤشرات النجاح لا يعطينا فقط وسائل لتصوير الحالة الآنية لمؤسسة معينة، بل يحفز كذلك عملية خلقِ جماعيٍّ لها من النتائج ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى، وعلى أصعدة متعددة.

والمشهد نفسُهُ تكرر في ما يرتبط بمسألة الالتزام بالقواعد في الكتابة والتمكّن من اللغة: انتقلتْ مؤشرات النجاح من النقاط الجيدة المُتَحَصَّلِ عليها في الفرنسية وتدنّي الأخطاء الإملائية في باقي المواد، إلى عدد المقالات التي تتوصل بها جريدةُ المؤسسة، والتلاخيصِ ونقدِ الأفلام التي تُعَلَّقُ على جدران الداخلية، وعدد الملخّصات العلمية، أو حتى نسبة المشاركين في مسابقة " رسائل الحب"، والتي قررّ المتعلّمون أنفسُهُم تنظيمَها.

في الحقيقة، هذا التفكير في طرق التقييم أعاد هَيكَلَة حياة المدرسة وأعطاها هويّة مخصوصة، إذْ عندما نقرر جماعةً ما نريدُ أن نصير والطرقَ التي ستساعدنا في ذلك، نخلق آنئذ ما يُسمِّيه علماء الاجتماع بـ " انعكاس المؤسسة" effet établissement، وهو انعكاس يؤثر في الالتزامات الفردية كما في

هيكـلةِ الجماعيِّ - المشترك.
وما هو ممكنٌ في السّلكين الابتدائي والإعدادي ممكنٌ أيضا فـي التعليم الثانوي والعالـي. فدون الحاجة إلــى استبعاد أهمية نتائج الامتحانات، يمكن للفاعلين أن يتجنّدوا لتحديد مؤشرات تجعل ممكنا تتبعَ نجاح وتطور العملية التعليمية فـي مناحيها المتعددة: البحث والتوثيق وتبادل المقروءات والعمل التعاونـي ومدى انخراط مندوبـي التلاميذ، أو الدينامية الثقافية على صعيد المؤسسة.

لكن، مهما بلغت أهميةُ هذه الدينامية المحلية فهــي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستغنـــي عن المؤسسة التعليمية، وعن إدراجها فـي إطار أكثر اتساعا إذْ هناك خطر محدق، وهو أن انهمام كــلِّ مؤسسة بتحديد معاييرها الخاصة قد يُفضـي إلى حجب الطموح المشترك الذي يجمع كــلَّ المؤسسات. ولهذا فإنه لمن الضروري بلورة بدائل فعلية لأساليب التقويم التقنوقراطية الطاغية على منظوماتنا التربوية، وإنه لواجب على الأساتذة فــي أقطار العالم كــلِّها أنْ يتوفروا على آليات تمكّنهم من تحديد الوسائل الواجب استعمالها بطريقة جماعية من أجل ضمان استفادة الجميع من الثقافة، ومن أجل النهوض بحرية الفكر لدى الجميع، ولتفعيل شتـى أنواع التضامن تأمينا لمستقبل كــلِّ ما هو مُشتَرَك.
وهنا لابد من الإشارة أنه من الممكن أن تحلّ منظمةٌ كــاليونسكو UNESCO (3) مثلا، محلّ منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (4) التــي ليست سوى " ودادية " تهدف إلــى ترويج الليبرالية، تَمَّ تأسيسها سنة 1948 لتنزيل مخطط مارشال (5)، وهـي اليومَ تحاولُ بَسْطَ هيمنتها وفرضَ معاييــرها حول الفعّالية والنجاح فــي العالم قاطبة.
إن منظمةَ الأمم المتحدة ستُشرّف نفسَها إذا وفَتْ بوعدها بخصوص وضع دفتر تحمّلات مناسب لنشــر تعليم تحرّري وتربية تضامنية. وهذا لن يُجبِر، سواء الدول أم المدارس، على التخلّي عن أنظمتها التربوية، بل سيمكن الجميع من التموقع حول منظور مشترك: المعارف الأساسية – أي تلك التــي تجمع بنــي البشر؛ لا تلك التــي تنشــر بينهم التفرقة، وتلك التي تساهم فــي الانعتاق؛ لا تلك التــي تُفاقِمُ شروطَ العبودية، وكلّ القيم التــي تَحُولُ دون ارتمائنا فـــي أعماق البربرية: احترامُ الغيرية والتعاونُ خدمةً للجميع. ولا شك أنها مهمّة بالغة الصعوبة، ولكن من يجرؤ على القول بأنها غير ضرورية وبأنّها لا تغدو ملحّة يوما بعد يوم؟

الهوامش

1. Le Programme International pour le suivi des acquis des élèves
2. البرنامج الدولي لتتبع مكتسبات التلاميذ: مجموعة من الدراسات التـي تُنجزها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، تهدف إلى تقييم الأنظمة التعليمية للدول الأعضاء وغير الأعضاء؛ ولا يقتصر دورها في انجاز هذه الدراسات وإصدار التقارير ، وإنما برفع ((توصيات))...
3. TEACHING TO THE TEST
4. Organisation des Nations Unies pour l'Education, la Science et la Culture
5. منظمة الأمم المتحدة للتربية, والعلم والثقافة.
6. OCDE (Organisation de Coopération et de Développement Economique)
7. (Plan Marshallيندرج ضمن إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة المد الشيوعـي حيث تحالفت مع مختلف الدول المتضررة من الحرب بدعمها عسكريا (اليونان في حربها الأهلية مثلا) وماليا من أجل تنفيذ خطة لإعادة البناء والإعمار شريطة تنزيل مجموعة من التوصيات سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسـي، كتحرير الاقتصاد وفتح الأبواب أمام رؤوس الأموال الأجنبية...)

"
لابد من الإشارة أنه من الممكن أن تحلّ منظمةٌ كـاليونسكو مثلا، محلّ منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التــي ليست سوى " ودادية " تهدف إلــى ترويج الليبرالية
"

رواية "ظلالي التي تعرج" لكلثوم عياشية:
هدرة تخلع أبواب الذكرى وتهتك سحر الفكرة

بقلم: رجاء عمّار
باحثة في علوم الإعلام والاتصال
شاعرة وقاصّة
rajabalsam@gmail.com

"تتحول العملية التي تتمثل غاياتها الجوهرية الاستمتاع تفكرا وتساؤلا إلى اضطرار لمواصلة الإنصات"

لعل أهم ما يطلبه القراء عند الاطلاع على نص هو عدم الشعور بالملل، وذاك الإحساس أنهم بصدد هدر الوقت والجهد إذ تتحول العملية التي تتمثل غاياتها الجوهرية الاستمتاع تفكرا وتساؤلا إلى اضطرار لمواصلة الإنصات إلى بوح يدعي تشعب المسالك إمعانا في الحث على الاستمرار في اكتشاف خفايا المغامرة السردية ومراميها.

عرج الظلال... بين التخييل والاختلال

يصرح عنوان الرواية بشكل ما أن التركيز سينصب على اعتلال جلي مع رصده بتنويعاته المختلفة، بما أن الظل ورد في صيغة الجمع، وهو إنباء أن العرج الذي قد يعتبره البعض واحدا، غير أن القريحة المبدعة تكفلت بعرض تدرجاته متحكمة في درجة الكشف في كل مرة، لتعكس رؤية مغايرة، وتلتقط صورة تجتمع فيها ظلال بسمات تميزها وإن منحها القدر فروقا، ليتخذ كل ظل وجهة، وقد تلتقي في مفترق الطرق ويتقاطع الخطو، وقد لا يحصل اللقاء وهو اختيار سردي عسير، غير أنه ضمانة إثراء.

فهل تجسد هذا السعي إلى التنويع والكشف عن خبايا غرف الذاكرة أم توقف عند حدود "النية" وتبقى حجة العاجز عن بلوغ المراد " إنما الأعمال بالنيات" التي تؤخذ على غير معناها المرتبط بالبداية، لتغدو شكلا من أشكال التبرير لنهاية لا يعترف فيها المرء بمسؤوليته ويكتفي بإقناع نفسه أن النية صادقة "أما الله غالب.."، غير أن هذه الذريعة مرفوضة، باعتبار أن هذا المرء مبدع ومطالب أن يثمر مجهوده عملا مقنعا يثبت اجتهاد المخيلة وعدم الاكتفاء بتكديس الأفكار وإيجاد صلة بينها.

قد لا تمتلك مفاتيح غرف الذاكرة وتجبر على الخلع، فهل استحق الأمر هذا العناء، وهل توقف الأمر عند حد عرض ما تم تخزينه في كل واحدة دون استثمار حقيقي لتشكيل لوحة تم تعمد تشتيت عناصرها، فهل تمت المحافظة على العفوية التي تثبت أصالة النسج أم يمكن ملاحظة التدخل السافر للكاتبة التي تكاد تحتكر النص في بعض المواطن مستحوذة عليه برصف التفاصيل التي لا يمكن الجزم أنها وردت فيما سجلته الساردة، باعتبار التأكيد على أن هذا البوح ليس أصلا وإنما نسخة "حسنة" أو "معدلة"، وهو فعل لا يخلو من تكبر حرم النص من فرادة تنبع من بوح لا يشبه سوى صاحبه فيضمن تميزا وليس وجبة سردية بمكونات ضبطتها الكاتبة وأعدت السفرة وتعمدت تشتيت الأحداث والتزويق بالمقاطع،

فهل بلغت التجربة مرحلة النضج والاستواء أم هناك تسرع يشي برغبة في التخلص قبل أن تطيب الهدرة وتغدو مستساغة؟

هل خدمت إعادة الكتابة النص أم أعلنت عن تدخل يشي بنزعة من القسوة ومواصلة التعامل مع رملة وقضيتها بعدم مراعاة إلا مصلحة الذات، ولا بد من التأكيد أن الحديث في هذا السياق، يرتبط بالأستاذة التي وجهت إليها رملة الأشرطة التي حملتها بوحها. تبقى نقطة الأشرطة علامة استفهام عن زمن كتابة الرواية، فلا بد أنها تعود إلى تاريخ سابق للتكنولوجيا مع وثوق أن من سيرسل إليه ما زال محتفظا بمسجلة صالحة لتقديم خدماتها وليست مجرد ديكور تم الاحتفاظ به ذكرى عن مرحلة زمنية سالفة-

فالأستاذة حسب ما ذكرت رملة بادرت لحل مشكلة التأتأة التي تعاني منها بالتشجيع على القراءة غير أنها متى استشعرت أن الأزمة أعمق، نأت ولم تتح للفتاة حتى فرصة التعبير والتوضيح والاكتفاء بالترديد: "هذا خطير... خطير جدا"، رغم أن الحديث حينها واستجلاء الأمر ومناقشته كان كفيلا بحله، وهو ما دعمه قول رملة: "لو سألتني لماذا عوض التجاهل.. لو أنصت إلي ربما قذفت ما في الصدر وارتحت، أنت أطلت مدد اغترابي وصمتي. تكرر انتظاري لك في نهاية الحصة وتجاهلت وقتي"، وفي ذلك نقد لتخلي المربي عن دوره الذي لن يتطلب منه سوى بعض الوقت الذي قد ينجح من خلاله في إنقاذ ذات عوض تخبطها في حاضرها ومستقبلها.

يستمر هذا التجاهل بتدخل في صياغة البوح، حتى يوشك المطلع على الاستفهام: هل هذا بوح رملة أم هو بناء سردي من اجتهاد الكاتبة التي تعمدت اختيار المقاطع من غناء وقرآن تتناسب مع الفكرة، وهو انسجام غيب سمة الصدق تغييبا تاما، فرملة التي تبوح وهي تسجّل لن تختار شريطا معينا ولن توقف بوحها لإفساح المجال لمقطع يدعم ما قالت وتعود بعد الفاصل، كما أن هذه المقاطع تكاد تكون مغيبة في البداية، ولا يلحظ وجودها إلا في مرحلة متقدمة، رغم أهمية الدور الذي تلعبه، فهي مكون أساسي وحضوره كعامل تشويش يزيد التشويق، ويمنح لمسة الفرادة المطلوبة التي تبعد النص عن كونه رواية عادية تضم فصولا بعناوين اختيرت لها أمثال شعبية تتماشى بدورها مع ما سيرد.

هل صب هذا التنسيق في صالح التخييل أم كبح جماحه بل وبتره عمدا ليكسبه أجنحة اصطناعية مفرودة غير أنها لا تسمح بالتحليق، ليغدو عرج الظلال الذي هو اعتلال من المنتظر الاعتراف به كعلامة فارقة إلى تكلف لم يحترم جمالية الاختلال؟

هل تجرأت المخيلة على الولوج إلى داخل كل غرفة من غرف الذكرى أم أنها بقيت على العتبة تخشى متى دخلت أنها لن تخرج متجاهلة أن الإبداع في جانب منه شجاعة للخوض في المجهول لتصوير الواقع بشكل فريد عوض الإصرار على توثيقه في المعهود من أسواقه وأنهجه وملابس أهله

وعاداتهم حتى ترجح هذه الكفة على حساب أخرى تغدو ثانوية ومجرد تعلة لا غير لإيجاد سبيل للمحافظة على التراث اللامادي في كتاب؟

بين الجوع والإشباع... مرايا عديدة وانعكاس بالإجماع

هل هناك غرف عديدة تم خلع أبوابها فعلا أم هناك توجه مباشر للغرفة السابعة التي تتعدد فيها المرايا التي تعكس صورة المرأة، فهل تحقق التنويع المنشود بتقديم انعكاسات مختلفة أم هي صورة تكاد تكون واحدة لا تخرج عن نطاق الكبت والجوع والعلاقات التي لا يعترف بها الشرع ولا القانون ولا حتى جمالية الفعل الجنسي ذاته عند محاولة النظر إلى المسألة دون تقييدها بضوابط، ما حول الغرفة السابعة شبيهة بمعرض للوحات دعارة مجانية، لم تستثنى فيها رملة الساردة ولا أمها بحرية التي تخون زوجها النوري قارو مع الهادي هاها ولا فاطمة الحنانة التي تذهب إلى دكان الصحبي في سوق النحاسين ليضاجعها، ولا نبيهة التي تعيش بمفردها ولم ينتبه أحد إلى حملها الذي وأدته ولا الأخت هويدة ذات العلاقات العديدة دون حسيب سوى نصيحة عابرة من الأم "رد بالك على الماعون" ولا الصديقة أحلام بـ"شبقها المقيم" وحديثها الذي لا يخلو من إيحاءات جنسية، ولا حمدية التي تعاني جوعا حاولت إخراسه بالسحر لعل الزوج يهتم بها ويسكت لهفة الجسد.

روايتان.. أسلوب واحد ومقبرتان

هل تعتبر هذه الرواية وهي التجربة الثانية في رصيد الكاتبة إضافة تمكنت من خلالها من تقديم تجربة مختلفة والتقدم كيفا لا كما فحسب، وإن أكدت على الخيط الرابط بين العملين، فهل هذا الخيط تم تأثيثه سرديا أم الاكتفاء بتعليقه في مناسبتين للتذكير بوجوده دون استغلاله خدمة لأحداث الرواية ما بجعله نوعا من الحشو ليس إلا؟

الأسلوب هو ذاك التعثر المتعمد، ويتخذ حجة على أن الساردة ليست ضليعة بفن الرواية، فمنية صاحبة مدن ولا سراويل، حاولت كتابة مخطوطها أي أنها تجربة أولى، فهل هذه الذريعة مقنعة للتسامح

به والتجاوز أم أن المطلع لا يعنيه سوى الحصول على نص مقنع وممتع، تماما مثلما هو الشأن بالنسبة لرملة التي قد يرد ما شاب نصها من زلل- لعل أبرزه قدرة شخصية كمال على جلد نفسه بحزام جلدي باقتدار حد كشط جلدة الكتفين وترك آثار جلية على الظهر وهو فعل لا بد من الاعتراف بأنه خارق ويتطلب أذرعا طويلة بقوة عجيبة، لأن الإنسان العادي يجد صعوبة حتى في حك ظهره ويستعين بـ"طياب"-، وغير ذلك من تكرار لنفس الفقرة تقريبا في مواطن عدة وربط ذلك بأنه بوح عفوي قد يعيد المرء ما قاله عمدا أو عن لاوعي، لكنه احتمال مرفوض باعتبار أنه تم التأكيد في النهاية أن هذا البوح تمت إعادة صياغته.

قد يكون أسلوب التشتيت في الرواية الأولى حمالا لقيمة مضافة تخدم النص باعتباره يراوح بين سيرة منية ومخطوطها الذي تحاول كتابته، أما في هدرة فالتشتيت لم يبلغ الدرجة المطلوبة فأبقاه "ضيفا متطفلا" على العملية السردية، يحضر باحتشام ويكاد يغيب ليزج عنوة، وليس الأسلوب فقط هو المتشابه بل صورة الأم مع اختلاف السياقات بين قسوة تؤثر بها بنتا دون البقية ونوعا من اللامبالاة وإلقاء مسؤولية التربية والاعتناء على آخرين، وإن تم السعي إلى استنبات هذا الاختلاف فلا تورع في التوجه إلى نهاية متطابقة، فبعد القوة التي تتمتع بها الأم في مواجهة الدنيا، تهوي دون سابق إنذار إلى الضعف الجسدي، وهو ما اشتركت فيه حربية مع يزة، كما سارعت المخيلة في كلا النصين إلى الحل السردي الأسهل والتشبث بالتحكم في مصير الشخصيات، دون تنويع ودون الإبقاء على فسحة تتناسل فيها الاحتمالات بل لا بد من حفر كثيرة لدفن التساؤلات ومعها الفرضيات، وحين لا يجد لأزمات الشخصيات مخرجا -وهو غير مطالب بذلك- لكنه، لا يرضى إلا إذا لقوا أغلبيتهم حتفهم موتا، وهذا التشبث باختيار هذا الحل فيه مواراة للحياة التي ما زالت تتردد في صدر الحكاية، فإذا جنى الكاتب على روايته، فهل يترقب أن تحافظ على قدرتها على طرح الجنى في المواسم القادمة؟

> هل هناك غرف عديدة تم خلع أبوابها فعلا أم هناك توجه مباشر للغرفة السابعة التي تتعدد فيها المرايا التي تعكس صورة المرأة

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: @tounesaf